اسلوب العقل فى التوصل الى المعرفة

لا تسلم من العوارض والمؤثرات التي تنحرف بها عن الحق وهذا ما يشهد به واقع الفلسفة يقول ديكارت: (لا يكفي أن يكون لدينا عقل سليم بل ينبغي أن نستخدمه استخداماً سليماً).

- **أسلوب العقل في التوصل إلى المعرفة:**
- أشهر مَن تناول هذه المسألة:
- **أبو العقليين ديكارت :** الذي يرى أن جميع أفعال العقل التي نستطيع أن نصل بها إلى معرفة الأشياء تعود إلى فعلين اثنين هما: الحدس والاستنباط.

- **الحدس:** وهو نور فطري غريزي يمكن العقل من إدراك فكرة ما دفعة واحدة وليس على التعاقب فهو إدراك مباشر غير مسبوق بمقدمات تسلم إليه.
- فالحدس عنده هو الفكرة المتينة التي تقوم في ذهن خالص منتبه وهو إدراك يقيني لا مرية فيه ويستشهد بالعلوم الرياضية وكيف يظهر الاشتغال بها أن هذا الحدس تصور يقيني للذهن يقظ صاف هو يتولد فقط من نور العقل الطبيعي.

- ويمثل ديكارت للحدس العقلي بإدراك الإنسان للمثلث بأنه محدود بثلاثة أضلاع وأن الكرة محدودة بسطح واحد فهذه الأمور ليست من المفاهيم العامة التي نستخلصها بالتفكير ومقارنة المعطيات الحسية.
- **الاستنباط:** وهو فعل ذهني نستخلص بواسطته من شيء لنا به معرفة يقينية نتائج تلزم عنه.
- والاستنباط الديكارتي مخالف للقياس الأرسطي لأنه ينتقده من جانبين:

- **١** – أنه قائم في الأغلب على قواعد يقينية ولكن منها ماليس يقينياً.
- **٢** – وهو وإن أوصل إلى نتائج يقينية إلا أنه لا يكشف لنا حقائق جديدة.
- والاستنباط الديكارتي الذي حاول أن يتجاوز به المنطق الأرسطي يتمثل في حدوس متتالية ؛ فلكي نعرف الأشياء المركبة ينبغي أن ننطلق من أصولها البسيطة التي ندركها بالحدس فنستنتج من ثم شيئاً مجهولاً من شيء معلوم ؛ وبما أن

الشيء يقيني بحكم إدراكي له بالحدس ، فالنتيجة اللازمة عنه يقينية كذلك.

- **أما (ليبنتز):** فيقسم المعرفة إلى ثلاثة أنماط :
- **١ – يقين حدسي:** موضوعه الحقائق الفطرية وبه نعرف وجودنا.
- **٢ – اليقين البرهاني:** يرجع إلى اليقين الحدسي ؛ وذلك باستنباط نتيجة قضية من حقيقة حدسيةوبه نعرف الله.
- **٣ – اليقين الحسي:** يتناول الأشياء التي تأتي بها الحواس ومعيار صدق المعرفة الحسية هو الربط بين الظواهر عن طريق العقل

- وهذا يعني أن المعرفة الحسية تستمد يقينها من المعرفة العقلية ، وباليقين الحسي نعرف الأشياء الأخرى.
- **والتقسيم الثلاثي نجده عند اسبينوزا:** الذي جعل المعرفة على ثلاث درجات هي من الأدنى إلى الاعلى:
- **١ – تجريبية :** في المجال المادي.
- **٢ – العقلية.**
- **٣ – الحدسية :** التي موضوعها الوجود الأزلي.

- **وقد سبقوا إلى هذا المنهج ، فأرسطو:** الذي قيل فيه إنه زعيم المذهب الحسي ما كان يتجاوز بالحواس كونها الوسائل التي تنقل المادة الخام للمعرفة على العقل ثم تتسلسل المعرفة حتى تصل إلى ما يطلق عليه اسم المبادئ الأولى وهي عنده تعرف بالحدس أو الإدراك المباشر.
- **الفارابي وابن سينا:** وسار على هذا الخط فلاسفة العصر العباسي كالفارابي وابن سينا فالمعرفة عندهما درجتان:
- **١ – حسية :** تتمثل في جمع الجزئيات المحسوسة وتجريدها منالمادة.

- **٢- ومعرفة عقلية:** حينما تتحول الصور الحسية المجردة من المادة كليات من خلال المبادئ التي يفيضها العقل الفعال على العقل بالقوة ليصبح عقلاً بالفعل.
- فمرد المعرفة الصحيحة لديهم إلى المبادئ الأولى التي تشرق من واهب الصور على العقول البشرية التي كانت عقولاً بالقوة فجعلها عقولاً بالفعل.
- وهذا اللون من العلاقة بين المعاني الحسية والمبادئ القبلية هو
- ما يسمى بنظرية الانتزاع التي قال بها هذان الفيلسوفان وغيرهما: كابن طفيل وابن رشد وابن خلدون وغيرهم.
- **وخلاصتها:** أن الذهن ينتزع من المعاني التي ندركها بحواسنا ، والتي تشكل تصورات بسيطة التصورات الثانوية كالعلة والمعلول والجوهر والعرض ، ويتم هذا الانتزاع من خلال ما في العقل من مبادئ ضرورية كلية تظهر فاعليتها في مثل التصورات المحسوسة.
- هذا في المجال الحسي ، أما في مجال المعرفة التجريدية فقد
- سبقهم المتكلمون إلى منهجية البحث فيه :
- **فكافة المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة قالوا:** إن معرفة الله تحصل بالنظر وهو ما قال به بعد ذلك ليبنتز.
- **وقال آخرون:** إن معرفة الله تتم بالفطرة التي أُودِعها الإنسان وهو ما قال به اسبينوزا.
- **وقال السلف:** إنها تحصل بالفطرة – غالباً ، ولكن قد يُوجد من يحتاج إلى المعرفة العقلية.
- وهكذا يتبين أن العقليين يقضون بأن العلم بالأشياء لا يتم إلا باستنباط العقل أحكامها من المبادئ القبلية.

- **تعقيب:** عرفنا أن المذهب العقلي حصر المعرفة في العقل وردها إلى المبادئ الفطرية .
- ولا ريب أن لم يسلم للعقليين بذلك فقد رقض القول بهذه المبادئ التجريبيون .
- والرافضون للقول بها لم يستطيعوا إنكارها ولكن فسروها بتفسيرات أخرى .فهيوم فسر العلية بأنها مجرد عادة ذهنية تنشأ عند الناس كلما رأوا حادثتين مطردتي الوقوع ، كما رد الاجتماعيون هذه المبادئ إلى الحياة الاجتماعية التي كونتها مع مر السنين حتى أصبحت أشبه بالقوانين الراسخة.
- والحق أن تلك المبادئ لا يمكن إنكارها فالذين انكروها معتمدون عليها.
- وقد أثبت الوحي هذه المبادئ متمثلة بالفطرة وهي مستكنة في العقل الإنساني فإذا تفاعل الإنسان بعد ذلك مع الوجود المحيط به عن طريق الإدراكات الحسية برزت هذه المبادئ لتؤدي دورها في الارتفاع بهذه الإدراكات إلى مستوى المعرفة الإنسانية.
- أما الاجتماعيون فخلافهم يعود إلى مصدرها فقد ردوها إلى المجتمع تمشياً مع نظرية التطور التى يؤمنون بها.
- **تنبيه إلى أمرين:**
- **الأول:** أن اعتبار المعرفة حركة فكرية لا تتجاوز العقل البشري إلى خارجه خطأ.وقد تبين في منهج المعرفة لدى ديكارت : أن المعرفة بطريقيها الحدسي والاستنباطي إدراك عقلي لقضايا فكرية مجردة كما مر بنا شرح هذين الطريقين سابقاً.
- والذي ألجأه إلى ذلك – والعقليين قبله – هو طلبه تحقيق معرفة يقينية ثابتة لا تتغير وبما أن الحسيات متغيرة فإن التعويل

عليه يفقد هذه المعرفة ثباتها ومن ثم يقينيتها لديه.

- والحق أ المنهج التجريدي مخالف لمنهج الإسلام الذي يجعل للحس دوراً مكملاً في عملية المعرفة .
- ثم إن المذهب التجريدي لم يحقق اليقينية المطلوبة في بحوثه الميتافيزيقية وتاريخ الفلسفة شاهد على ذلك .
- الموقف السليم ما قال به العقليون المعتدلون الذين لم ينكروا الحس والتجربة كما قال لايبنتز: (ضروري لإيقاظ الأفكار الفطرية فى عقولنا).
- **ثانياً:** آن كون المعرفة البشرية لا تتم إلا بعد الإدراكات الحسية ، لا يعني أن تظل في إطارها لا تتجاوزها كما فعل ذلك (كانت) حينما قصر فعلها على الربط بين الظواهر الحسية فقط ، والحق أنها تنطلق إلى أبعد من ذلك متجاوزة الكون المادي إلى إلى آفاق الوجود الغيبي فيما يتعلق بالله وصفاته معتمدة على الحدوس التجريبية في أصولها .
- كذلك انتقدت الخصائص التي وضعها العقليون للمعرفة من كونها : كلية ، وضرورية وشاملة ، وواضحة متميزة.
- آما الوضوح والتميز : فهو المعيار الذي وضعه ديكارت للمبادئ والحقائق المستنبطة منها ؛ وقد انتقد بأنه لم يجعل للوضوح علامة منطقية تحدده ؛ لهذا قال منتقدوه مثل : جاسندي: إن كل إنسان يظن أنه يدرك بوضوح وتميز ما يميل إليه ؛ لكنه قد يكون مخدوعاً فيما يدركه .
- ولعل المدرسة العقلي في العصر العباسي قد ارتكزت على هذا حينما لأقدم كثير من أتباعها على تأويل القرآن إلى ما يوافق عقله بحجة أن ما يراه عقله قطعي ومعلوم بالضرورة.

- آما الخصائص الآخرى فقد انتقدت من ناحية استقرائية ، ونفسية ، في أن من الصعب وجود اتفاق بين الناس على هذه الأحكام ، وأن الإنسان قد لا يجد في نفسه ضرورة ملزمة للتصديق بشيء يعتبره الآخرون من البديهيات.
- ودرجة حضور هذه المبادئ الذهنية نسبية تختلف من شخص لآخر ، فوجودها لا ريب فيه ولكنه راجع إلى الشخص من من ناحية الذكاء والغباء وما يعرض له من مؤثرات تمتد إلى فكره فتغطي تلك المبادئ فيخفت نورها.
- ويرى بعضهم آن الأولى تسمية هذه الخصائص (شروط الفكر السليم) قال: لأن الإنسان قد يفكر أحياناً متجاوزاً لها معتمداً مبادئ أخرى قد تكون مناقضة لبعضها رسختها في ذهنه حياته وبيئته السابقة).
- لكنها مع ذلك باقية وحينما ينجلي عنها الغشاء بممارسة الشك المنهجي أو التفكر بعيداً عن التقليد والمصالح الذاتية تعود إلى لمعانها وبريقها. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) ﴾ سبأ.
- أما زعم العقليين انحصار مصدرية المعرفة بالعقل وحده فهو زعم باطل وقد كان المراد به في أوروبا النهضة:
- ١ – رد سلطان العقل بعد أن أوهنته الكنيسة.
- ٢ – وبعد أن سخرت منه الاتجاهات الحسية.
- فجاء ديكارت رافضاً لسلطة الكنيسة وهو في الوقت نفسه أخرج حقائق الوحي عن مجال العقل لأنها في رأيه لا تدرك إلا بأمر خارق من السماء ، فهذا الموقف المتناقض منه يدل على إيمانه بمصدر آخر غير العقل .

- ولكن أتباع ديكارت رفضوا مبدأه فجعلوا العقل مصدراً للحقيقة كلها ، ومن ثم كان على العقل أن يثبت ما ادعاه له المتسمون به فيقدم الحقائق في كل المجالات وخاصة مجال الدين ولقد أخفق العقل وانتهى في هذا المجال إلى رفض الميتافيزيقا.
- لذا كان على الإنسان بحاجة إلى مصدر فوق العقل ، ولقد حاولت الفلسفة ذلك فعلاً واهتدت إلى الحدس البرجسوني ولكنه لم يكن أحسن حظاً من العقل ، ولن يجد الإنسان هذا المصدر إلا متمثلاً في الوحي الذي وهبه الله تعالى للإنسان.

المنهج الذي يسلكة العقل

- **المنهج الذي يسلكه العقل:** إن الخطأ والتناقض في أحكام الناس – كما يرى ديكارت – لا يعود للأوليات فهي مطلقة الصدق ، وإنما يعود إلى منهج العقل في البحث عن الحقيقة وقد أدرك هذه الحقيقة كثير من الفلاسفة :
- فوضع **ديكارت** قواعد المنهج في كتابه: مقال في المنهج وكتابه قواعد لهداية العقل.
- كما وضع **أرسطو** المنطق الذي اشتهر به.
- والمنهج السليم المتكامل لا يمكن أن يوضع من قبل البشر وإنما يوضع من قبل الذي العقل وهو الله تعالى فإليه ينبغي الرجوع لتلقي المنهج الذي يسلكه العقل.

أسئلة الوحده ١١

- ١ – اذكر تعريف (ديكارت) للحدس والاستنباط .
- ٢ – يقسم (ليبنتز) المعرفة إلى ثلاثة أنماط .....و....و....
- ٣ –تحدث عن المنهج السليم المتكامل الذي يسلكه العقل في الوصول إلى المعرفة الحقة .